Al-Ahwaz

From: <mohamzat@hotmail.com>
To: <arabistan@yahoo.com>
Sent: Monday, June 16, 2003 3:51 AM
Subject: مقالة عن التيار القومي العربي في العراق في ظل الاحتلال

التيار القومي العربي في العراق
بين الدور المطلوب والتحديات المفروضة

محمـــــد البديري
كاتب من العراق مقيم في الدانمارك

بعد احتلال بغداد وسقوط النظام في التاسع من نيسان الماضي، حصل التيار القومي العربي في العراق، كما هو حال كل التيارات السياسية الأخرى، على فرصة الظهور العلني مجدداً بعد أن كان حزب البعث ونظامه قد حرمه من ذلك لأكثر من خمسة وثلاثين عاماً. فقد سارعت شخصيات قومية بقيت في الداخل وأخرى عادت من الخارج إلى الاعلان عن العديد من الأحزاب السياسية ذات التوجه القومي العربي، مثل حركة القوميين الديمقراطيين العرب (من قياداتها عبد الحسين الربيعي، محمد حسين رؤوف، جعفر الباجه جي) ، والحركة الاشتراكية (عبد الإله النصراوي، قيس العزاوي) ، والحزب الاشتراكي (مبدر الويس) ، والتنظيم الناصري (عبد الستار الجميلي) ، ومجلس الانقاذ (محمد علي سباهي) وغيرها. وقد أصدرت بعض هذه الاحزاب صحفاً تنطق باسمها مثل صحيفة الحرية التي تصدرها حركة القوميين الديمقراطيين العرب، وصحيفة الجريدة الصادرة عن الحركة الاشتراكية العربية، وغيرهما.

ويسعى بعض رموز التيار القومي العربي في العراق حالياً لإيجاد صيغة عمل مشتركة فيما بين أحزابه العديدة، تساعده على توحيد جهوده وتجديد أدواته وتوسيع رقعة حضوره على لوحة التحركات السياسية والاعلامية في هذه المرحلة الحرجة التي يمر بها العراق في ظل الاحتلال العسكري الأمريكي البريطاني.. ويواجه التيار القومي العربي في العراق حالياً عدة تحديات موضوعية، أهمها واقع الاحتلال العسكري الذي يتحكم بمقدرات الشعب العراقي والصياغة الأمريكية الجارية حالياً لعراق المستقبل. فلم يعد خافياً على أحد أن المخطط الأمريكي يريد عراقاً منقوص السيادة ومجرداً من إنتمائه العربي ولا يقيم وزناً لعلاقات خاصة مع محيطه العربي، بحيث يتحتم عليه التعامل مع البلدان العربية كبلدان مجاورة أو إقليمية يرتبط بها بهذا القدر أو ذاك تبعاً للمصالح والاستراتيجيات الدولية الضاغطة، وليس تبعاً لمصالح العراق الوطنية، هذا فضلاً عن إبتعاده الكلي عن القضايا العربية، إلا بما يلبي مصالح المحتلين وحلفائهم في المنطقة. وتصطدم الصياغة الأمريكية المطروحه لعراق المستقبل بقوة مع الأسس العامة التي يقوم عليها الفكر القومي العربي الحديث، ومع الحصيلة التراكمية الكبيرة من العلاقات والوشائج والصلات التاريخية والوجدانية والثقافية والمصيرية التي تربط العراق ببقية البلدان العربية . فالعراق حسب هذا الفكر وتلك الحصيلة، عربي الهوية و هو جزء من الامه العربية مع احترام واضح لخصوصيتة القطرية الشديدة وتنوعه الثقافي والإثني. ويتوقف مصير ونجاح جهود التنمية الإقتصادية والاجتماعية والثقافية فيه، حسب الفكر القومي الجديد، على درجة تكاملها مع مثيلاتها في الاقطار العربية الأخرى. ناهيك عن دور العراق في دعم القضايا العربية، وفي مقدمتها قضية فلسطين والتعاون العربي بأفق وحدوي، ونشر الديمقراطية واحترام حقوق الانسان في عموم الوطن العربي.

إن هذا التصادم الحاد بين الصياغة الأمريكية الجارية حالياً للدولة العراقية، وبين الرؤية السياسية والمنطلقات الفكرية للتيار القومي العربي في العراق، يشكل عامل ضغط كبير على حركة هذا التيار، قد يؤدي في أسوأ الاحوال واخطرها إلى إفراغه من محتواه الفكري ومن رؤيته السياسية التي تميزه عن باقي التيارات، وفي هذه الحالة لا يعود هذا التيار قومياً عربياً، إذا اختار الانسياق وراء المخطط الأمريكي وصار جزءاً منه وفشل في تحديد موقف شديد الوضوح في رفضه للاحتلال و للصياغة الأمريكية الجارية لعراق المستقبل، بغض النظر عن الذرائع التي قد يراها البعض مبرراً لمثل هذا الإنسياق.

وثمة تحد آخر يواجهه التيار القومي العربي في العراق ويتمثل في معالجة الضرر الفادح الذي لحق بشعارات هذا التيار والناجم عن الاستخدام السئ لتلك الشعارات من قبل النظام المنهار. فحزب البعث في العراق محسوب لدى الكثيرين على التيار القومي العربي رغم قمعه الشديد لهذا التيار، حيث سجن وقتل وشرد الآلاف من ناشطيه، وقد رفع البعث طيلة سنوات حكمه شعارات قومية عريضة، وتبنى قضايا عربية تحضى باهتمام وتعاطف عموم

العرب. لكنه في المحصلة النهائية أساء إلى تلك الشعارات والقضايا أكثر مما أحسن إليها، عندما أساء استخدامها بشكل صارخ وحولها إلى لافتات دعائية جوفاء والأمثلة على ذلك كثيرة. ولعل أخطر ما ترسب في الشارع العراقي من جراء ذلك، هو ما نلاحظه حالياً بين أوساط الاجيال العراقية المختلفة من سلبية واضحة في التعاطي مع القضايا ذات البعد القومي العربي. ولاشك أن هذا الواقع الذي ينوء تحت وطأة تركة النظام السابق، وتأثيرات الصياغة الأمريكية الجارية، وحقيقة الاحتلال العسكري الأمريكي البريطاني، يفرض حالياً على التيار القومي العربي في العراق، تحدياً آخر يتعلق برؤيته الفكرية للعمل القومي وقرائته السياسية للواقع العراقي المعقد.
فالمطلوب حالياً إطلاق ومواصلة عملية التجديد في ممارسات وأساليب وقراءات التيار القومي العربي، بما يتناسب والتحديات الكبيرة التي يواجهها العراق عموماً وهذا التيار خصوصاً.
ولابد من التأكيد هنا على أن عملية التجديد في الفكر القومي العربي قد بدأت منذ سنوات عديدة ضمن عمل محمود وكبير قامت به منابر وهيئات قومية معروفة، نذكر منها على سبيل المثال المؤتمر القومي العربي، وهي في كل الحالات لا تعني التخلي عن ثوابت العمل القومي الأساسية، ومنها الإيمان الراسخ بالأمة العربية وبالمصير العربي المشترك، وبضرورة المواجهة المشتركة للتحديات الخارجية والداخلية المشتركة، وبخصوصية العلاقات والمصالح العربية العربية. فبدون هذه المبادئ، وهي مبادئ مشاعة لا يحتكرها حزب أو فئة أو بلد معين، لايعود التيار القومي قومياً، كما أن التجربة العالمية الملموسة قد أثبتت خلال العقود القليلة المنصرمة ضرورة التكتلات البشرية الكبرى وأهمية تطوير وتوكيد الخصائص والمميزات المشتركة التي تتمتع بها تلك الكتل، ليس فقط لصالح تقدمها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وإنما أيظاً في إطار مساهمتها الفعالة في الاستقرار العالمي والتطور الحضاري الانساني.
لكن عملية التجديد المطلوب التي أشرنا إليها يجب أن تطال مجالات كثيرة. ففي الشؤون السياسية والاقتصادية صار مهماً التأكيد على تبني مبدأ الانطلاق من المصلحة القطرية إلى المصلحة القومية، حيث أصبح تحقيق مصالح الوطن (القطر) والحرص عليها، مقدمة لابد منها لتحقيق مصالح الأمة، وأصبح الاعتزاز بالوطن والانتماء إليه طريقاً للاعتزاز بالأمة وتاريخها. وقد دفعت الشعوب العربية أثماناً باهضة عندما تم قلب هذه المعادلة ولو على سبيل الدعاية، من قبل أنظمة وصفت بأنها قومية. فقد تم تأجيل أو التملص من حل الكثير من القضايا الوطنية الهامة بحجة الإنشغال بقضايا قومية أكثر أهمية. وكانت الحصيلة فشلاً ذريعاً في الجانبين.
فتحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي المصحوب باصلاحات سياسية جوهرية وضمن معايير الاستقلال الوطني والتنمية المستقلة، في قطر عربي معين، سينعكس خيراً على باقي أقطار الأمة وسيدفع بعجلة التقدم الحقيقي فيها إلى الأمام.
وفي حالة العراق الآن حيث يرزح البلد برمته تحت إحتلال عسكري أجنبي غاشم، غيب الدولة كلياً وحل مؤسساتها، وصادر إرادة الشعب، وأستباح البلاد كلها، يتحتم على التيار القومي العربي أن يسارع إلى توحيد صفوفه أولاً، على أساس رؤية سياسية وطنية تقوم على رفض الاحتلال وسلطته وعلى العمل سوية مع باقي التيارات السياسية الوطنية من أجل قيام حكومة عراقية إنتقالية واسعة التمثيل وكاملة الصلاحيات تعبر عن السيادة الوطنية والاستقلال الوطني، وتنهض بالمهام العاجلة، وتهيئ العراق لمرحلة الديمقراطية الناجزة من خلال الدستور والانتخابات والمؤسسات الدستورية.
إن التمسك بتسميات حزبية معينة وبشعارات وأساليب عمل جامدة، سيكون ولا شك عقبة كبيرة تعرقل جهود القوميين العراقيين التوحيدية وتضعف قدرتهم على التعامل مع التحديات الكبرى التي يواجهها العراق عموماً والتيار القومي العربي خصوصاً، كما أن إلتباس الرؤية السياسية وضبابيتها، وإنسياقها وراء شعارات ولافتات وقوى ضغط سياسية رائجة في العراق حالياً، من شأنه أن يفقد التيار القومي العربي محتواه ومصداقيته التي أكتسبها بفضل تاريخه النضالي الطويل وتضحياته الجسيمه.
إن الاحزاب والشخصيات القومية العربية في العراق مدعوة اليوم إلى مواجهة كل هذه التحديات بمرونه عالية ووعي خلاق وإيمان شديد بقدرات الشعب العراقي الذي سبق خلال الشهرين المنصرمين، جميع الاحزاب والزعامات السياسية رغم كثرتها المفرطة، في تشخيصه واقع وأهداف الاحتلال، وفي إدراكه طريق الحرية والخلاص النهائي من الدكتاتورية والمحتلين .